المطلب الثاني

أهمية الوقف للدعوة إلى الله تعالى

الفرع الأول : اهتمام الإسلام بالعلم.

الفرع الثاني : أثر الوقف في إنشاء المؤسسات الدعوية.

الفرع الثالث : أثر الوقف على المساجد.

الفرع الرابع : أثر الوقف على المدارس.

الفرع الخامس : أثر الوقف على المعلمين والدعاة والمتعلمين.

الفرع السادس : أثر الوقف على حرية التعليم والثقافة.

الفرع السابع : أثـــر الوقف في انتقال الطلبة والعلماء والدعاة إلى المراكز العلمية.

الفرع الثامن : أثـــر عـــناية أئمة الدعوة الإصلاحية بالوقف على العلماء والدعاة.

أهميـــة الوقـــف:

"يعد الوقف من أهم المؤسسات التي كان لها الأثر الفاعل في تنمية التعليم، سواءً داخل المساجد، أو في المدارس أو في المكتبات، أو غيرها من المؤسسات الخيرية الأخرى، حيث رعت الأموال الوقفية عملية التعليم من مرحلة الطفولة حتى مرحلة الدراسات العليا المتخصصة فأدى ذلـــك إلى نقـــل المـــسلمين من حياة بسيطة إلى حياة امتازت بالرخاء، بينما بقيت كثير من المجـــتمعات في ركود لفترة طويلة، وإن ما وصلت إليه الحضارة الإسلامية من تقدم كل ذلك تحقق بفضل الله تعالى ثم جهود المحسنين الذين أوقفوا من أموالهم على التعليم.

فلم يكن هناك وزارة للتعليم أو تخصيصات في ميزانية الدولة، وإنما كانت الدولة تعتمد مبدأ الزكاة ومبدأ الصدقات بصورة عامة وتشجع المسلمين على أعمال البر، استناداً إلى تعاليم الدين الإسلامي، وتقوم الدولة بالإشراف على الأوقاف ومراقبة تنفيذ الوقفيات.

لقـــد شملـــت الأموال الموقوفة على التعليم كثيراً من الجوانب المختلفة التي تخدم عملية التعليم والتعلم، من أهم هذه الجوانب: إنشاء المدارس وتجهيزها وتوفير العاملين فيها من معلمين وغيرهـــم، بالإضـــافة إلى إنشاء المكتبات وتجهيزها وبناء المساجد والكتاتيب، ونالت الجوامع والمساجد اهتماماً كبيراً خلال مراحل التاريخ الإسلامي لإقامة الشعائر التعبدية فيها، بالإضافة إلى استخدام بعضها للتعليم.

وقـــد شـــجع الوقف المتعلمين على الانخراط في التعليم والاستفادة من التسهيلات التي وفرت في المساجد والمدارس والمكتبات، من خلال تكفله بتأمين احتياجات المتعلمين من اللوازم الدراســـية المخـــتلفة؛ حـــيث خصصت بعض الأوقاف لتعليم الطلاب والصرف عليهم مجاناً، وإسكانهم في الأقسام الداخلية وقد شجع ذلك طلاب العلم على الرحيل لطلب العلم في مختلف الأصقاع" [1].

"إن مؤسسة الوقف كان لها دور عظيم على مر العصور في الحفاظ على الإسلام،

---

(١) انظـــر: دور الوقف في العملية التعليمية د. عبد الله بن عبد العزيز المعيلي – ص١٦-٢١ – ندوة مكانة الوقف وأثره في الدعوة والتنمية – شوال ١٤٢٠هـــ-مكة المكرمة.

وتوفير السبل المناسبة للدعوة له، فارتبط نظام الوقف الإسلامي بإنشاء المساجد وتعميرها؛ عملاً بقول الحق سبحانه: ﴿ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ فَعَسَىٰٓ أُو۟لَٰٓئِكَ أَن يَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٨﴾ ﴾[1].

وأدى ازدهار الأوقاف بدوره إلى تقوية الشعور الديني واستمرار تدفق المشاعر الدينية، إن أهمية الأحباس المتعلقة بالمساجد تكمن في الدور الهام الذي تضطلع بها في مجتمع الاستخلاف، فالمسجد هو مركز إشعاع أساس للقيم والمبادئ الإسلامية، فهو السبيل إلى تحقيق التنمية الدينية لجميع أفراد المجتمع، وتأكيد هويتهم الإسلامية والحفاظ عليها، وهو المدرسة التي يتم من خلالها تنمية الحياة الثقافية والتعليمية وإعداد الدعاة، وهو ملتقى المسلمين في أعيادهم ومناسباتهم الدينية والاجتماعية"[2].

(١) سورة التوبة الآية ١٨.

(٢) انظر: أثر الوقف في تنمية المجتمع- د.نعمت عبد اللطيف مشهور -ص ٧٧-٨٠.

الفرع الأول

اهتمام الإسلام بالعلم

كان للوقف أثر طيب وعظيم في إنشاء مؤسسات التعليم وما يتصل بها من خزائن الكتب والمخطوطات، وغير ذلك مما يخدم العملية التعليمية التي من خلالها يتم إعداد الدعاة، وقبل أن نتحدث عن أثر الوقف في إنشاء مؤسسات التعليم أرى مناسبة الإشارة إلى اهتمام الإسلام بالعلم، ومما يؤكد على ذلك أن أول ما نزل من القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلْإِنسَـٰنَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ۝٣ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلْإِنسَـٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ۝٥ ﴾[1] .

وقوله تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا۟ فِى ٱلْمَجَـٰلِسِ فَٱفْسَحُوا۟ يَفْسَحِ ٱللَّهُ لَكُمْ ۖ وَإِذَا قِيلَ ٱنشُزُوا۟ فَٱنشُزُوا۟ يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَـٰتٍ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ۝١١ ﴾[2] .

وقوله تعالى: ﴿ أَمَّنْ هُوَ قَـٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْـَٔاخِرَةَ وَيَرْجُوا۟ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَـٰبِ ۝٩ ﴾[3] .

وقوله تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ وَٱلدَّوَآبِّ وَٱلْأَنْعَـٰمِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُۥ كَذَٰلِكَ ۗ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَـٰٓؤُا۟ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ۝٢٨ ﴾[4] .

"فـإذا قرأت القرآن وجدت فيه كما جاء في "المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ما يلي:-

كلمة "علم" نكرة ومعرفة ذكرت (٨٠) ثمانين مرة، أما مشتقاتها: علم ويعلم ويعلمون،

---

(١) سورة العلق الآيات ١-٥.

(٢) سورة المجادلة الآية ١١.

(٣) سورة الزمر الآية ٩.

(٤) سورة فاطر الآية ٢٨.

وعلـــم ويعلم وعليم وعلاَّم...الخ ذُكرت مئات ومئات من المرات، كلمة"عقل" لم ترد اسماً أو مـــصدراً في القرآن الكريم وورد بديلاً عنها كلمة "الألباب" وتكررت (١٦) ست عشرة مرة، وكلمة "النهى" بمعنى العقول أيضاً مرتين.

أمـــا مشتقات عقل فقد تكررت في القرآن الكريم (٤٩) تسعاً وأربعين مرة، وكذلك مـــشتقات "فكـــر" (١٨) ثماني عشر مرة ومشتقات "فقه" (٢١) إحدى وعشرين مرة وكلمة "حكمة" (٢٠) عشرين مرة وكلمة "برهان" مضافة وغير مضافة (٧) سبع مرات.

وهذا عدا كلمات أخرى لها صلة بالعلم والفكر مثل "انظروا" و "ينظروا" وقد تكاثرت أحاديث النبي ﷺ وتتابعت بعد آيات القرآن الكريم في بيان فضل العلم ومنزلة العلماء عند الله وعند الناس في الدنيا والآخرة، ولا ريب أن أولى العلوم بذلك هو علم الدين، يقول ﷺ: (من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين...) [١].

ويقـــول ﷺ:(من سلك طريقًا يطلب فيه علماً سلك الله به طريقاً من طرق الجنة وإن الملائكـــة لتضع أجنحتها رضا لطالب العلم، وإن العالم ليستغفر لـــه من في السماوات ومن في الأرض والحيتان في جوف الماء، وإن فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب، وإن العلماء ورثة الأنبياء، وإن الأنبياء لم يورثوا دينارًا ولا درهمًا وإنما ورثوا العلم، فمن أخذه أخذ بحظ وافر) [٢].

هذه الأحاديث ومثلها كثير وكثير بجوار ما جاء في القرآن الكريم من آيات غزيرة وفيرة جعلـــت أصـــحاب رسول الله ﷺ ومن تبعهم بإحسان على مر القرون يشيدون بشأن العلم وينوهون بقدر العلماء؛ تحريضاً على طلب العلم والزيادة منه، وتحذيراً من الجهل"[٣] .

---

(١) صحيح البخاري – كتاب العلم- باب:من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين ح رقم ٧١ ص ٣٩

(٢) سنن أبي داود-لأبي سليمان بن الأشعث السجستاني الأزدي (٢٠٢-٢٧٥) تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد- كـــتاب العلم- باب الحث على طلب العلم رقم (٣٦٤١) ٣١٧/٣ بدون رقم أو تاريخ طبع- المكتبة العصرية- صـــيدا- بـــيروت وصححه الألباني – صحيح سنن أبي داود ٦٩٤/٢ الناشر مكتب التربية العربي لدول الخليج- اختـــصر أســـانيده وعلق عليه وفهرسه زهير الشاويش-ط١-١٤٠٩هـــ-١٩٨٩م- توزيع المكتب الإسلامي- بيروت.

(٣) انظر: الرسول والعلم- د. يوسف القرضاوي ص٣- ١١-ط٧-١٤١٧هـــ-١٩٩٧م مؤسسة الرسالة – بيروت – لبنان.

"وقال معاذ بن جبل ﷺ[1]: تعلموا العلم فإن تعلمه لله خشية وطلبه عبادة ومدارسته تسبيح، والبحث عنه جهاد، وتعليمه من لا يعلمه صدقة، وبذله لأهله قربة، وهو الأنيس في الوحدة، والصاحب في الخلوة، والدليل على الدين والنصير على السراء والضراء، والوزير عند الأخلاء، والغريب عند الغرباء، ومنار سبيل الجنة، يرفع الله به أقواماً فيجعلهم في الخير قادة سادة هداه يقتدى بهم، أدلة في الخير تقتفي آثارهم، وتُرفق أفعالهم، إلى أن قال: به يُطاع الله، وبه يُعبد، وبه يُوحَّد وبه يُمجَّد وبه يُتورع وبه تُوصل الأرحام وبه يُعرف الحلال والحرام، وهو إمام والعمل تابعه، يلهمه السعداء ويحرمه الأشقياء" [2].

إن منفعة العلم ضرورية للإنسان، سواءً ما كان مصدره الوحي، أو ما كان مصدره الكون قال ابن أبي العز: "قد يكون علم من غير الرسول ﷺ، لكن في الأمور الدنيوية؛ مثل الطب والحساب والفلاحة" [3].

"وعلى هذا بنى الإمام البخاري رحمه الله تصنيفه « الجامع الصحيح » فبدأ بالوحي، وأتبعه بالإيمان والعلم، وجعل ذلك بين يدي سائر أبواب العمل سواءً منها التعبدي أو الإنساني" [4].

وبعد فهذه إشارة موجزة إلى فضل العلم والعلماء، واهتمام الإسلام بالعلم والحض على تعلمه وبذل الوقت والمال في سبيل تحصيله، خاصة العلم الشرعي الذي ينفع الإنسان في دنياه وأخراه، ولعل ما ورد في القرآن الكريم والسنة النبوية من نصوص، تحث على التعلم والتفكر ومدارسة العلم كل ذلك دفعًا للمحسنين من المسلمين أن ينفقوا أموالهم لأجل تعليم العلم، مما كان له أثر واضح في حياة الفرد والمجتمع المسلم وبروز الكثير من العلماء والمفكرين في مختلف العلوم.

---

(١) هو معاذ بن جبل بن عمرو بن أوس الأنصاري، الخزرجي، أبو عبدالرحمن، مشهور، من أعيان الصحابة شهد بدرًا وما بعدها وكان إليه المنتهى في العلم بالأحكام والقرآن، مات بالشام سنة ١٨هـ. انظر: تقريب التهذيب لابن حجر ص٥٣٥ (رقم ٦٧٢٥)، وسير أعلام النبلاء للذهبي ٤٣٣/١، وتهذيب الأسماء واللغات للنووي ٩٨/٢.

(٢) جامع بيان العلم وفضله وما ينبغي في روايته وحمله- للإمام أبي عمر يوسف بن عبد البر — ٦٥/١— بدون تاريخ ورقم طبع - دار الفكر — بيروت.

(٣) شرح العقيدة الطحاوية- علي بن علي بن أبي العز-ص٢٣-تحقيق د. عبد الله بن عبد المحسن التركي والأرنؤوط —ط٢- ١٤١٣هـ — مؤسسة الرسالة — بيروت.

(٤) هدى الساري مقدمة فتح البخاري- ابن حجر- ص ٤٧- بدون تاريخ طبع- المطبعة السلفية- القاهرة.